الحلقة (١٠)

➔مسألة التسلسل

وهي من أصعب المسائل في مقرر التوحيد وهي مرتبطة بما قبلها ارتباطاً كبيراً أو بل هي أساسها، والتسلسل يأتي أولا.

يقصد بالتسلسل: **أنه لا يكون شيئا إلا وقبله شيء ترتب عليه، أو لا يكون شيء إلا وبعده شيء ترتب عليه**، فعندنا خط له رأسان سهم من هنا وسهم من هنا، التسلسل إذن معناه أنه لا يكون شيء إلا وقبله شيء ترتب عليه ولا يكون شيء إلا وبعده شيء ترتب عليه، التسلسل في الماضي والتسلسل في المستقبل.

التسلسل له اعتبارات أو على اعتبارات:

☒ الجهة الأولى: **هي التسلسل في صفات الباري جل وعلا وهي من أهم الاعتبارات**، الناس في التسلسل المتعلق بصفات الرب جل وعلا على مذاهب:

o المذهب الأول: من قال إن الرب جل وعلا يمتنع تسلسل صفاته في الماضي، ويمتنع تسلسل صفاته في المستقبل، فلابد من أمد يكون قد ابتدأت صفاته ولابد أيضاً من زمن تنتهي إليه صفاته، وهذا قول **الجهمية** عياذاً بالله من هذا القول، وكذلك **طائفة من المعتزلة أمثال أبي الهذيل العلاف وجماعة منهم**، إذن يمنعون التسلسل في الماضي ويمنعون التسلسل في المستقبل.

o المذهب الثاني: هو أن التسلسل في الماضي ممتنع وفي المستقبل لا يمتنع، يعنى أن الاتصاف بالصفات لابد أن يكون له زمن ابتدأ فيه، يعني أن الاتصاف بالصفات لابد أن يكون له زمن ابتدأ فيه وهذا الزمن قريب من خلق هذا العالم، الذي تعلقت به الأسماء والصفات أو الذي ظهرت فيه آثار الأسماء والصفات، وفي المستقبل هناك تسلسل في الصفات يعني عدم انقطاع للصفات، وهذا هو **قول أهل الكلام الأشاعرة والماتوريدية**.

o**المذهب الثالث**: مذهب **أهل السنة والجماعة والحديث** أن التسلسل ثابت في الماضي والمستقبل، وثبوته في الماضي غير متعلق بخلق تتسلسل فيهم الصفات، أو تظهر فيهم آثار الصفات، بل تتنوع التعلقات باختلاف العوالم، يعني أن الباري جل وعلا -على المذهب الثاني- لم يتصف بصفة الخلق إلا بعد أن خلق هذا العالم، وإلا فقبل ذلك كان معطلا، أهل السنة يقولون إن الباري جل وعلا أول بصفاته، أي متصف بصفة الخلق وهو فعال لما يريد، فهو أول بصفاته ومتصف بصفاته قبل أن يخلق هذا العالم المنظور، وقد خلق عوالم أخرى، ولابد أن هناك من ظهور آثار صفاته جل وعلا، فهذا يختلف باختلاف العوالم، يعني لا ننظر إلى هذا العالم المنظور فقط، وفي المستقبل يقول أهل السنة أيضاً أن التسلسل واقع في صفات الباري جل وعلا يعني في الآخرة، هناك تسلسل في صفات الباري من جهة المستقبل، كما أنها في الماضي كذلك في المستقبل، إذا تبين هذا فهذه مسألة التسلسل بُحثت

قبل مسألة مذاهب الناس في الصفات وتعلقها بالخلق، وهل الباري متصف بالصفات بعد ظهور آثارها أم لا، يعني هذه المذاهب التي ذكرتها بحثت أيضا هناك، كما ذكرنا قول الجهمية وكذلك قول الأشاعرة الماتوريدية، ثم قول أهل السنة والجماعة، فهاتان المسألتان مرتبطتان ببعضهما.

☒ **الجهه الأولى**: المعتبرة في صفات الباري

☒ **الجهة الثانية: المعتبرة في التسلسل: جهة المخلوقات أو التسلسل في المخلوقات**، وللناس فيه مذهبان:

- المذهب الأول: يقولون بالتسلسل في الماضي، يعني أن العالم لا ينقطع، ليس شيء إلا وقبله شيء يترتب عليه، وهو قول الفلاسفة، فقول المذهب الأول "أن التسلسل في المخلوقات في الماضي" ممتنع عند عامة الناس، إلا عند قوم هم **الفلاسفة**، الذين قالوا لا عالم إلا هذا العالم، وأن هذا العالم لم يزل في الماضي، وهذا خلاف ما جاء في السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وما جاء عن الله سبحانه وتعالى أن الله كان ولم يكن معه شيء من هذا العالم المنظور حالياً، وهذا العالم ترتب التسلسل فيه الآخر على الأول والثاني عن ما قبله وليس ثمت شيء غيره كما يقول الفلاسفة، إذن التسلسل في الماضي لا يقول به إلا الفلاسفة ويخالفهم عامة الناس يعني اتفق أهل السنة والمعتزلة **على أن تسلسل المخلوقات في الماضي ممتنع فقط**، الفلاسفة **هم الذين يقولون بأن المخلوقات متسلسلة في الماضي**، الفلاسفة كما هو معلوم خارجون عن الملة لأنهم يرون قدم هذا العالم مطلقا، وأن المؤثر فيه الأفلاك بعلل مختلفة.

إذن المذهب الأول: قول بالتسلسل في الماضي وهذا لم يقل به إلا الفلاسفة.

- المذهب الثاني: أن التسلسل في المخلوقات واقع فقط في المستقبل ليس في الماضي، وهذا عند جمهور الناس إلا عند **جهم وبعض المعتزلة**، قالوا خالفوا من جهة، قالوا أن تسلسل الحركات والمخلوقات في المستقبل أيضاً ممتنع، ولأنهم لابد أن يصيروا إلى عدم التأثير وإلى سكون.

إذن هذا هو المذهب الثاني هو أن التسلسل في المستقبل، الأول قالوا بأن التسلسل في الماضي وهم الفلاسفة وخالفهم الناس، والمذهب الثاني أن التسلسل يكون في المستقبل، وهذا خالف فيه جهم وبعض المعتزلة، قالوا إن المخلوقات والحركات تكون إلى سكون أو عدم، فهناك عندهم أن التسلسل في المستقبل يخالفون فيه، ومن هذا نتج قولهم بفناء الجنة و النار، فجهم يقول بفناء الجنة والنار، ومعلوم أن مذهب أهل السنة والجماعة أنهما باقيتان لا تفنيان، فنتج من الدخول في المباحث الفلسفية المقيتة التي تعذب العقول ولا تنفع العقلاء، نتج منها هذا الضلال، الذي يخالف النصوص المتظافرة على إثبات أن الجنة باقية وأن النار باقية، وأهلها مخلدون فيها كما هو المشهور من مذهب أهل السنة والجماعة.

☒ **الجهة الثالثة: هي تسلسل الأثر والمؤثر، والسبب والمسبب، والعلة والمعلول**، وأشهر مذاهب

الناس فيه **اثنان:**

- المذهب الأول: **مذهب نفاة العلل والأسباب** الذين يقولون لا أثر لعلة في معلولها، ولا أثر لسبب في مُسَبب، وإنما يفعل الله عند -ونضع تحت كلمة عند عشرة خطوط- وجود العلة لا لكونها علة، فعندهم أنك عندما تمر السكين على الخبز فإن السكين لا تقطع، وإنما عندما أمررت السكين على هذا الخبز حدث عند ذلك القطع، وليس في السكين خاصية القطع، وليس في الخبز خاصية الانقطاع إذا أمررت عليه هذه الآلة، وهذا مذهب مشهور عند الأشاعرة و كسب الأشعري، وهذا مما لا يعقل، وهو مذهب نفاة التعليل وهو مذهب الأشاعرة والقدرية وابن حزم وجماعة.
- المذهب الثاني: **أن الأسباب تنتج مسبباتها، ويتسلسل ذلك، وأن العلة تنتج معلولا، ويتسلسل ذلك يعني جوازا، لكن ذلك كله بخلق الله سبحانه وتعالى له، والتسلسل في الآثار ناتج عن المؤثرات ليس لذاتها، وإنما لسنة الله عز وجل التي أجراها في خلقه** والله سبحانه وتعالى يقول {فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا}.

إذن هذا المذهب هو **مذهب أهل السنة والجماعة**، وهو المذهب الذي تقبله العقول ولا تقبل سواه، فالسكين لها خاصية القطع لأن الله جعل فيها هذه الخاصية، وجعل هذا سنة، وهي من سنن الله سبحانه وتعالى، فالتسلسل في الآثار ناتج عن المؤثرات ليس لذاتها بل لسنة الله عز وجل، هذا ما أجمله لكم في مبحث التسلسل وهذا المبحث كما ذكرت لكم من أصعب المباحث لا لضعف آلة العقول عند أهل السنة والجماعة وإنما إدخال أهل الكلام مصطلحات القوم ومصطلحات لا يعرفها الناس واستعمال بعض الألفاظ غير الدارجة عند أهل السنة والجماعة، وإنما هي من **مصطلحات الفلاسفة** فلذلك يُغرِبون، فيصعب فهم مسائلهم، لكن الله سبحانه وتعالى قيض من أئمة السنة والجماعة من ينبري لهذه المسائل ويرد عليها كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وكذلك تلميذه ابن القيم وغيرهم من أهل العلم، كذلك شارح العقيدة الطحاوية هو أثر من آثار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

← مسألة: قول المؤلف "صفتا الخالق والبارئ":

يقول المؤلف: " **ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا بإحداثه البرية إستفاد اسم البارئ** "

قال المؤلف هذا تحاشيا لمذهب الأشاعرة والماتوريدية الذين يقولون ويعطلون صفات البارئ جل وعلا، فيقولون هي في توقف وتعطل حتى يخلق فتظهر آثار هذه الصفات، فظاهر كلام الشيخ أنه يمنع تسلسل الحوادث في الماضي، ويأتي في كلامه ما يدله على أنه لا يمنعه في المستقبل، وهو قوله أيضا والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، وهذا مذهب الجمهور، ولا شك في فساد قول من منع ذلك في الماضي والمستقبل كما ذهب إليه الجهم وأتباعه وقال بفناء الجنة والنار.

يقول الشارح "**وأما قول من قال بجواز حوادث لا أول لها من القائلين بحوادث لا آخر لها، فأظهرُ في**

الصحة من قول من فرق بينهما، فإنه سبحانه لم يزل حيا والفعل من لوازم الحياة، فلم يزل فاعلا لما يريدكما وصف بذلك نفسه حيث يقول: {ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ}"

قال الطحاوي رحمه الله " **له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالق ولا مخلوق"**

يعني أن الله تعالى موصوف بأنه الرب قبل أن يوجد مربوب، وموصوف بأنه الخالق قبل أن يوجد مخلوق، وقال الطحاوي "**وكما أنه محيي الموتى بعد ما أحيا، استحق هذا الاسم قبل إحيائهم، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم**" يعني أنه سبحانه وتعالى موصوف بأنه محيي الموتى قبل إحيائهم فكذلك يوصف بأنه خالق قبل خلقهم، **إلزاماً للمعتزلة ومن قال بقولهم.**

يقول أيضاً الماتن رحمه الله "**ذلك بأنه على كل شيء قدير وكل شيء إليه فقير، وكل أمر عليه يسير، لا يحتاج إلى شيء، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"**

يقول الشارح "ذلك إشارة إلى ثبوت صفاته في الأزل قبل خلقه، والكلام على (كل) وشمولها شمول الكل في كل مقام بحسب ما يحتف بها من القرائن، يأتي في مسألة الكلام إن شاء الله في هذا الفصل".

فالمعتزلة حرفت المعنى المفهوم والله على كل شيء قدير، فقالوا إنه قادر على كل ما هو مقدور له، أما نفس أفعال العباد فلا يقدر عليها عندهم، وتنازعوا هل يقدر على مثلها أم لا؟ لو كان المعنى على ما قالوا لكان هذا بمنزلة أن يُقال هو عالم بكل ما يعلمه، وخالق لكل ما يخلقه، لا أنه على كل شيء قدير ونحو ذلك من العبارات التي لا فائدة فيها، فسلبوا صفة كمال القدرة عن البارئ جل وعلا.

أما أهل السنة فعندهم أن الله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير وكل ممكن فهو مندرج في هذا، وأما المحال لذاته مثل كون الشيء الواحد موجودا معدوما في حال واحدة، فهذا لا حقيقة له ولا يُتصور وجوده، ولا يسمى شيئاً باتفاق العقلاء، وهذا الأصل هو الإيمان بربوبيته العامة التامة، فإنه لا يؤمن بأنه رب كل شيء إلا من آمن أنه قادر على تلك الأشياء، ولا يؤمن بتمام ربوبيته وكمالها إلا من آمن بأنه على كل شيء قدير.

هذا الكلام في مسألة القدر، والمؤلف رحمه الله وزع الكلام في القدر وكذلك الشارح تبعه فلعلي أقدم لكم في مقدمة يسيرة عن معنى القدر.

فمعنى القدر في اللغة: هو تهيئة الشيء لما يصلح له، إذا هيئت شيئا لما يصلح له فقد قدّرته، وتقول أقدّر أن يكون كذا يعني هيئت هذا الأمر على أن يكون كذا وكذا، فتكون داخلا في هذا الأمر بتقدير إذا دخلت فيه بتهيئة، وهذا المعنى اللغوي العام كما قال الله سبحانه وتعالى {وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ} وآيات في القدر كثيرة {وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ} ونحو ذلك من الآيات.

أما في الشرع فالقدر سر الله عز وجل الذي لم يُطلع عليه أحداً، لم يُطلع عليه ملكا مقربا ولم يُطلع عليه نبيا مرسلا، بل هو سر الله عز وجل الذي لا يعلمه على وجه الكمال أحد، وتعريف القدر

اختلف فيه الناس، حتى تعريفه عند المنتسبين إلى السنة مختلف، لكن عُرّف بتعريف أُخذ من مراتب القدر التي جاءت الأدلة على مفرداتها،

فقيل في تعريف القدر عند أهل السنة والجماعة: أنه علم الله السابق بالأشياء قبل وقوعها، وكتابته لذلك في اللوح المحفوظ قبل خلقها وإيجادها، ومشيئته النافذة الشاملة، وخلقه عز وجل لكل ما قدر، أو خلقه عز وجل لكل شيء.